

# عسليه

وقمصا اخرى

أحمد فؤاد الهادي

الطبعة الأولى

الكتاب : عسلية

المؤلف : أحمد فؤاد الهادى

تصنيف الكتاب : مجموعة قصصية

تصميم الغلاف : أحمد فؤاد الهادى

إخراج : أحمد عبد الحليم

المقاس ١٢ × ١٧

رقم الإيداع : ٢٠١٥ / ٢٠٦٨١

الترقيم الدولي : 6 - 124 - 776 - 977 - 978

## دار يسطرون



طباعة وتوزيع الكتب فى جميع أنحاء العالم

المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة

شارع الملك فيصل - الجيزة

جمهورية مصر العربية

٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢ - ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩

مدير الإنتاج : أحمد عبد الحليم

رئيس مجلس الإدارة : عماد سالم

بريد إلكترونى : [yastoron@gmail.com](mailto:yastoron@gmail.com)

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

# أصحاب الله

obeikandi.com

بينما كان أقرانه من الأطفال يلهون ويلعبون في الإكوابارك المبهرة بألوانها وتجهيزاتها ويجربون كل ألعابها التي تفضي بهم في نهايتها إلى البيسين المصمم على شكل قلوب متداخلة يتفرق فيه ماء صاف مطهر بالكلور ومنقى بالفلاتر الصحية فيكتبون بأجسادهم الغضة على هذا الماء المدلل صفحات من حياتهم وكأنهم يعدونها لما هو آت من ترف العيش ورفاهية الحياة والحصول على كل شئ قبل أن يفكروا فيه وتختفي أحلامهم طواعية لعدم حاجتهم لها.

بينما هم في ذلك كان المسكين غارقا في موجة من الضحك على قفشة سمعها من زميله وهما يعتليات تلا من القمامة تفوح منه رائحة العفن التي علقت بثيابهما المهلهلة بل وبجلودهم أيضا حتى ألقوها وصارت تلك هي رائحة الحياة الطبيعية. ما أن هدأت نوبات الضحك حتى حلت على وجهه ابتسامة بدت مشرقة ومعبرة عن الرضاء التام، فعاد

ينبش بأصابعه الصغيرة في هذا التل فيلتقط كل ماهو  
مصنوع من البلاستيك ويلقيه في قفة كبيرة إلى جواره.

قال لزميله الغارق في كومة من الكرتون الممزق:

— عارف يانظيف .. أنا لازم أخلص بدري عشان  
رايح مع أمي القرافة.

رد عليه وعيناه مسلطتان على الكرتون ويداه لم  
تكفا عن التقاط الكرتون وحشره في جوال ضخم:

— هو انتوا كل يوم عندكوا ميت؟

رد سعيد الذي يبدو أنه لم يكن سعيدا بتهكم صاحبه:

— يا ابني أمي رايحة تزور أبويا في القرافة وقالت  
لي لازم تيجي تزور أبوك وتقرأ له الفاتحة.

سأله نظيف باستغراب:

— هو انت أبوك قاعد في القرافة ليه؟

رد سعيد بحنق:

— يا ابني ميت مرة قلت لك أبويا ميت .. يعني ميت ومدفون هناك .. على فكره معاه خالي وجدي ، بس أمي بتقرا له هو الفاتحة لوحده. بتقول لي إنه كان شغال في المجاري وزى الفل وان خالاتي كانوا بيحسدوها عليه.

سأله نظيف باستغراب :

— طيب ليه سابتة يموت؟

رد سعيد بحسرة:

— جاله المرض الوحش وماكانش عندها فلوس تعالجه. كان الحديث شيقا يتبادلانه وأيديهما لاتكف عن الالتقاط وكأنها ماكينات مبرمجة ، حتى إذا امتلأت قفة سعيد وجوال نظيف التفت كل منهما إلى الآخر وعلقا حملاهما على ظهريهما بحرفية ويسر وأخذا يخوضان بأقدامهما الحافية المسودة أمواج بحر القمامة في طريقهما إلى سفح التل انتظارا لسيارة المعلم لتقلهما بما يحملان إلى حيث المقلب ليفرغ كل منهما

ما في جعبته في المكان المخصص لنوعيته ويقبضون الثمن طبقا للميزان الذي يشرف عليه مسئول المقلب.

كان سعيد في عجلة من أمره، يود أن يطير ليفي بموعده مع أمه، ولكنه كان مضطرا لانتظار سيارة المعلم عندما تأخذ طريقها عائدة إلى قلب المدينة.

جلسا في ظل سور المقلب يلفهما الصمت وعلى وجهيهما بدت علامات الشرود فاكتملت لوحة التشرد التي رسمتها ثيابيهما وتعطر الجو بريحهما العفنة.

تحدث نظيف وهو متمسك بشروده وبصره معلق بلاشئ :

- عارف ياسعيد، أنا أبويا راجل طيب قوي، سواق على عربية تاكس بتاعة واحد جارنا، طول النهار بيلف وساعات طول الليل كمان، عارف ياسعيد.. بيقول لي ساعات ناس تعامله وحش أو يشتموه حتى، وهو بيخاف على عربية الراجل اللي بياكل منها عيش .. مابيردش عليهم، بيقول لي بابتسم لهم يا ابني عشان

اليوم يعدي وأرجع في ايدي لقمتمكم. عارف  
ياسعيد ... أمي عمرها ماسابته في حاله، دايمًا  
منكده عليه، كان الأول بيعاتبها بالراحة.. هي  
زادت لحد مابقي مايردش عليها، أنا عارف  
أنه بيتكسف منى أنا واخواتي لما تطول لسانها  
عليه وهو مايردش .. دا ساعات حتى يبتسم.

سأله سعيد مندهشا:

— وهي أمك بتعمل كده ليه؟

ابتسم بمرارة:

— عايزة تبقى هي المعلم، يعني تبقى هي الرئيس  
في كل حاجة، بس خلي بالك .. هي مابتقولش  
بس أنا واخواتي فاهمين، أنا باحبها بس نفسي  
أروح مالاقيهاش عشان أبويا بيصعب علىّ.

أطلقت سيارة المعلم أبواقها المزعجة إيذاناً بقرب  
رحيلها فانتفضا وكأنهما ينفضان ذهنيهما من  
كل مدار بينهما وتبادلا الضحكات في مزاح كثيرا

مايجمعهما ، واتخذنا طريقهما إلى حيث تقف السيارة  
وشعرا بالسعادة وهما يحتلان مكانا رحبا في صندوقها  
الخلفي الحافل بالبروزات الحديدية القاسية بعد أن  
أفسحت لهما القمامة المكان وكأنها أمهما الحنون.

لم تكن البيوت تعني شيئا لهما سوى أنها المصدر  
الأساسي لتلك القمامة التي توفر لهما دخلا معقولا  
يمكنهما من الاستمرار في هذه الحياة، ولكن إحساسا  
غريبا كان يملكهما في آن واحد يجعلهما يشعران  
بأنهما في انتظار شئ ما لا يعرفون كنهه ولكنه سيبدل  
حياتهما إلى شكل آخر لا يعرفونه ولكنهم يدركون أنه  
أفضل بكثير مما يعيشانه، وكثيرا ماتصارحا بهذا  
الخاطر ولكنهما لم يدركا له تفسيراً.

التقيا ككل يوم فوق تل القمامة المرتفع في الجانب  
الأيمن للطريق الذي يشق منطقة سكنية راقية،  
ارتفاع التل يقارب الدور الأول للعمارات المجاورة،  
لم يحاول أي منهما أن يسترق البصر أو السمع إلى  
النوافذ المفتوحة التي تطالها أعينهما وأسماعهما من

فوق التل لو أرادا، ولكن ذلك لم يكن يمثل لهما شيئا يسعيان إلى معرفته وكان كل منهما هو جمع أكبر كمية ممكنة من نوعيات القمامة المفضلة لديهما والتي تخصصا فيها.

لم يكن ليشاركهما أحد في مكانهم هذا سوى قطط الشوارع التي تسعى في أنحاء التل بحثا عن لقمة العيش، وكانا يتعجبان من أمر هذه القطط، فما التفتا ولو مرة واحدة إلى أي منها إلا وجداه يمضغ ويبتلع فيتعجبان ويتساءلان:

— كيف للقط بهذا الرزق الوفير؟

تساءل نظيف:

— لماذا لانبحث نحن أيضا عن طعام يناسبنا في هذا التل؟ لماذا نكتفي بجمع الكرتون والبلاستيك؟ مارأيك ياسعيد؟

لمعت عينا سعيد وهو ينظر لنظيف قائلا:

— قصدك يعني...؟

وظهر الحماس على نظيف وهو يشير إلى برتقالة  
كانت تحت رجل سعيد تماما:

— خد ياسيدي .. آدي برتقانة تحت رجلك ..  
مالها .. آهي زي الفل.

قالها وهو ينحني ويأخذ البرتقالة التي قشرها  
بأسنانه ثم قسمها بيديه المتسختان فأضفى عليهما  
من رائحة القمامة النتنة ماأخفى رائحة البرتقال،  
ومد يده إلى سعيد بالنصف وهو يدس النصف الآخر  
في فمه ولم يتح مجالا لتردد صاحبه فدس في فمه  
نصيبه، وسالت قطرات من عصير البرتقال من  
فميهما فشربت ملابسهما الرثة شيئا نظيفا لأول مرة.

القطط تروح وتجيئ، ويتشاجر بعضها مع البعض  
في صراع على لقمة شريفة، إلا أن هذا القط يتحرك  
وكأنه يزحف على بطنه والرعب يمالأ عينيه، ويبدو  
أنه حتى فقد القدرة على المواء فكان يئن بصوت

كسير منخفض، فلتفتا إليه فإذا هو مختلف تماما عن كل القطط التي يعرفانها جيدا، شعره ناعم ذو ألوان لم يريا مثلها من قبل، ذيله سميك يكسوه شعر كثيف، وجهه كوجه طفل جميل، حتى أن سعيد نفض يديه ومسحهما بخرقة لمحها تحت قدميه قبل أن يهم بلمس هذا القط الخيالي. قلب نظيف فيما جمعه من كراتين حتى اهتدى إلى واحدة يمكنه أن يصنع منها صندوقا يحفظ فيه هذا المخلوق البديع، وما أن أعد صندوقه حتى وضع سعيد القط فيه بمنتهى الرقة والحرص والتفت إلى صاحبه:

— إنه جائع، لقد أكلنا مما جادت به القمامة مثلنا مثل القطط التي حولنا، أما هذا فمن أين لنا بطعام يليق بمقامه؟

قال نظيف:

— أنا عمري ماكنت في نظافته حتى لما باستحمي!!  
دلوقتي هتلاقى حد جاي يدور عليه.

وضعا الصندوق جانبا، وعاودا عملهما بهمة  
ونشاط إلى أن ترامى إلى سمعهما صوت رقيق ينادي:

— دودي .. دودي.

وشعرا مع النداء بحركة القط يتخبط بجدران  
الصندوق فاستقاما في وقت واحد وتبادلا نظرات  
سريعة وكأنهما يتحاوران، تكرر النداء الرقيق وتبعه  
صوت حركة القط فسارا في اتجاه الصوت ليريا فتاة  
لم تبلغ العشرين بعد، فاتنة الجمال منمقة المظهر  
تخفي عينيها خلف نظارة عسلية اللون، انتظرا  
حتى تكرر النداء فلوحا لها حتى نظرت إليهما  
وبادرتهما:

— بادور على دودي .. قطة سيمون .. شوفتوها؟

فهما كل شئ إلا كلمة سيمون تلك، ولكنهما لم  
يهتما كثيرا بعد أن تأكدا أنها تبحث عن الأسير  
ساكن الصندوق، هزأ رأسيهما في آن واحد، وحمل  
نظيف الصندوق بحرص زائد وهبطا معاً إلى حيث

تقف فأسرعت تنظر في الصندوق وكادت تطير فرحا  
وهي تصرخ :

— دودي حبيبتي .. روحتي فين يامجرمة ..

واحتضنت قطتها وهي تنظر إلى المسكينين بسعادة  
لم يعهداها من البشر وتقول :

— لازم تيجوا معايا عند بابا ..

وقبل أن يرد أي منهما ، التفتت إلى حيث توقفت  
سيارة فارهة يقودها سائق وفي مقعدها الخلفي جلس  
والدها أيمن بك السنجابي ضخما فخما وهو يتابع  
ابنته من نافذة السيارة وفهم مما رأى أنها قد  
عثرت على قطتها.

طارت جودي إلى أبيها فرحة ، وتمسحت بكتفه وهي  
تقول :

— بابي لازم تكافئ الولاد دول.. أنا عايزاهم  
يحضروا عيد ميلادي عشان أحكي عنهم

لأصحابي .. عشان خاطر يبابا.

تعجب الرجل من طلبها، فعيد ميلادها بعد أسبوع ويحتفلون به كل عام في القرية السياحية التي يمتلكها الرجل في الغردقة، تعجب الرجل كيف يحقق لها طلبها، كيف يدخل أمثال هؤلاء الزبالين «سنجابي ريزورت» ذات النجوم الخمس، فقد يصابا بصدمة عصبية، وقد يصيبون نزلاء القرية بصدمة عصبية أيضا. لكنه وتحت إلحاح ابنته الوحيدة وجد عقله وقد بدأ يدبر الأمر حتى ينقله من المستحيل إلى الممكن، فلما اكتملت فكرته في رأسه، التفت إليها في حنان وحب وهو يقول:

— حاضر ياروح بابا.

احتضنته قدر طول ذراعيها وأمطرته بالقبلات وسألته:

— أئده لهم؟

فاوماً برأسه موافقا ، سارعت عائدة إلى حيث كانا يتابعان مايجري ، عندما أصبحت على بعد خطوات ملأت رائحة القمامة النتنة أنفها وغلفت كل شئ حولها وتاهت رائحة العطر النادر الذي تعشقه ، فتوقفت فجأة وهمت بالرجوع ، توقفت للحظات وهي تسأل نفسها : كيف لم تشم هذا العفن عندما كان لها مطلب تسعى إليه؟ كانت قد استدارت بالفعل إلا أنها أشفقت على هذين المسكينين ، فالتفتت برأسها فقط ونظرت إليهما وكأنها تعتذر لهما عن الدعوة التي لايعرفان عنها شيئا ثم جرجرتها ساقاها إلى حيث أبيها الذي ألهمه ذكاؤه أن يتركها هي تلغي فكرتها ويظل هو صاحب فضل القبول. ربت على كتفها وهو يقبل خدها ويقول:

— عيد ميلاد سعيد يا جودي.

★★★

obeikandi.com

# إلا كلمة

---

نشرت بجريدة الأخبار المسائى فى ٢٠١٥/٤/٥

obeikandi.com

رأيته شاردة صامتا مظلما مكتئبا، وشعرت  
بمعاناته وهو يكبت دموعا طاغية تحاول أن تتدفق  
من عينيه، أعرفه عصفورا مغردا يحبه الناس أينما  
ذهب وينصتون لكل كلامه وتهتز مع نبراته رؤوسهم  
تأثرا وتأبيدا، فهو قريب جدا من قلوبهم ويحدثهم  
بما يشعرون به وعجزوا عن وصفه أو التعبير عنه.

لم أتخيل يوما أنه سجين قفص لا يراه غيره،  
قضبانه جمر وأرضه لجين، يكتوي بكل أركانه  
ويمنعه كبريأؤه من الصراخ والتأوه، اللهم أنات  
مكتومة لا يكاد يشعر بها إلا الملاصق لقلبه. رأني  
وهو جالس إلى طاولته بعد أن قضيت لحظات  
شاخصا أمامه وهو منهمك فيما يكتب، ولكنه  
توقف فجأة وكأن كلمة قد تحشرجت في صدره  
فأبت يده أن يخطها يراعه، رفع إلى عينيه من

خلف نظارته فلمحت فيهما دموعا قد تحجرت.

سألته:

— ما بك؟

فما أجابني، بل سحب الورقة التي أمامه إلى ناحيته وكأنه يخشى أن ألمح ما فيها. أعدت عليه السؤال بنبرة استشعر فيها إصراري ولمح فيها انفعالي وتأثري فطأ رأسه وزج إلى بالورقة وغادر مقعده ودلف إلى ركن بعيد. جحظت عيناى وأنا أركض بين الكلمات التي شيدها على تلك الورقة الملتهبة وشعرت أنني أفر بينها من وحش قد أطلقه من جوفه المكلوم خائفا أن تفتك بي الكلمات والحروف. قرأت وكأنني أسمع بصوته لاصوتي:

لست ثعلبا اقتنصتموه بسهامكم، فتنزعوا أحشاه من جوفه وتحشوه قطنا وقشا ليصبح تحفة تباهون بها ضيوفكم وتدللون بها على شجاعتكم. لست

ثعبانا سقط في شراك نصبتموها فتسابقتم لاستخلاص  
سمه ترياقا وسلخ جلده ودبغه وتجنون من ورائه  
أموالا تترفون بها حياتكم. لست متهما ثبتت إدانته  
بحسن الطوية وطيبة القلب ورقة المشاعر فحق عليه  
الحكم بالعيش خارج الحياة. لست عملا خطه مشعوز  
أو ساحر برموز مبهمة رسمها بمداد أحمر على ورقة  
طواها بين أيديكم سرا وأوصاكم بأن تحرقوها في التيه  
وتذروا رمادها على قمم الجبال حتى يصيبكم الحظ  
وسعة الرزق. لست كبشا تنحرونه قربانا وتقربا لمن  
تحجرت قلوبهم وضلت ألسنتهم وضجت صدورهم  
بالحقد والغل فاكتوت منها قلوبكم وأسماعكم  
وأعينكم، تنشدون منهم الرضا وهم الذين لن يرضوا  
حتى لو نحرتم أنفسكم بين أيديهم. لستم أنتم فقط  
أصحاب الحقوق يامن ترتضون لي حياة الشقوق،  
فهل بعد هذا الظلم ظلم؟ وهل بعد هذا .....

وهنا توقفت كلماته فتوقفت لبرهة، وبقيت كلمة  
ثقل عليه كتابتها، صحت وأنا لأقصد الصياح:

— عقوق ....

وأكملت عبارته:

— وهل بعد هذا عقوق؟

\*\*\*

# لىكن ذلك عدا

---

القصة الحاصلة على المركز الثاني فى مسابقة

دار ضاد للنشر لسنة ٢٠١٥

obeikandi.com

التي خلعت ملابسها لك بالأمس.. هي نفسها  
التي تحاول اليوم أن تخلع رأسك من فوق كتفيك.  
هل هذا عقل ؟ .. سألتها .

كيف لاترى أن هذا هو عين العقل ؟ أيها الأحمق.  
كانت تؤكد لي أنها أنثى .. تركتني أفعل بها  
كل ما أريد وأحياناً مالا أريد .. وحين تيقنت أنني  
أقررت بأنوثتها أسدلت الستار على جسدها ..  
تنكرت لعودها .. كشرت عن أنيابها .. وبدأت  
رحلة الهبوط ولكن على منزلق من الوحل. تجربة  
مثل ألف تجربة ... طبعات متتالية لكتاب واحد ..  
ولكل طبعة لغة مختلفة ... قرأته باللغة الأولى التي  
أجيدها .. لم ترضني النهاية .. وقعت عيناى على  
طبعة بلغة لأعرفها .. تشبثت بها .. بذلت جهداً  
خارقاً لأتعلم تلك اللغة الجديدة .. كنت مصراً على  
قراءة الطبعة الغريبة .. بدأت القراءة بنهم وارتياح

.. بدأت الهواجس .. تبعتها الأحاسيس وأكدتها  
المفارقات والمواقف .. الشك يزداد رسوخا على أرض  
الحقيقة .. لا بد من طي الكتاب قبل الوصول للفصل  
الأخير حيث المقصلة والضرب بالحذاء.

قبل أن أفيق كانت يد الواقع مطبقة على  
عنقي... ألم تقرأ هذه الصفحات من قبل؟! ... مت  
قبل أن أجيب .. لم يحضر أحد للعزاء ..

عند المقابر .. تجمعت النساء من كل لون يتبادلن  
نظرات الحقد والغيرة والحسد لأتفه الأسباب .. القرط  
.. السوار .. حتى النعال .. وكلهن يتبسمن في دلال ..  
لم يأتين لتشيعي .. فكل لديها قتيلا .. صاحبتني  
شامخة القامة بينهن .. رشيقة القوام .. تلحد قتيلا  
في هذا الصباح المشرق الجميل. لفائف الكفن لم تستطع  
أن تحجب نظراتها عني .. عشقت هذه النظرات ..  
أعتقد أنها لن تموت .. هي خلقت فقط لتقتل السذج  
من أمثالي. هاهي تفتح باب القبر وتستعد لإلقائي  
في غياهبه. ياللعجب !!! .. ماكل هذا الزحام؟ ...

لقد سبقني إليه كثيرون ، ركلتني دون رحمة حتى  
تعقدت أمعائي حول قلبي .. بؤرة الغباء التي تسكن  
صدري .. مازال ينبض .. بماذا ولماذا .. لأدري ..

فى الخارج .. هبت رياح شديدة أثارت التراب  
والرمال فى كل المكان ... صوت الرعد يدوي .. من أن  
لآخر تلمع أسنان النساء بالوهج الخاطف للبرق ...  
أسمع وأرى وأنبض .. لم أمت إذن ؟؟ ولكنى أعاني  
من موت غريب جديد ، حاولت أن أتلفت .. أن  
أستغيث .. ولكن مع هذا الكفن اللعين .. هيهات .

لمحت فى جمعهن كتابا لم أقرأ مثله من قبل ..  
تمنيت قراءته .. لمحتني صاحبة الكتاب .. بل أعتقد  
أنها سمعت ما يدور برأسي رغم أكفاني . تقدمت  
على الفور .. فكنت عني الأكفان .. أخذت فى خلع  
ملابسها .. فاضت رائحة العطر ومألت الابتسامات  
المكان .. ذهب الجميع .. سكنت العواصف والرياح  
وانقشعت الغيوم . هو صباح جميل إذن .. نفضت  
عني تراب القبر .. أعادت أمعائى إلى مكانها حتى

يتفرغ القلب لمهمته .. فعلت كل شئ .. وأنا أطلع صفحاتها بنهم .. فجأة .. طوت الكتاب وأنا ممد بين صفحاته .. صرخت .. قالت :

— سأحتفظ بك في حقيبة يدي .. ستكون صفحة في كتابي .. فإنني أغار عليك حتى من تراب القبر .. هنا موت وهناك موت.

تسابقت الكلمات بل والسطور التي يحفل بها الكتاب لتنهش لحمي .. سمعتها تشن حملة جديدة للخداع .. ضحية جديدة؟ .. حزنت .. فلامكان في كتابها الآن لغيري .. سيأتى من يزاحمني حتى في الموت والهلاك ..

سمعتها تقهقه .. وأخذت تقلب الكتاب بين يديها وكأنها توقظني :

— ياأبله .. عندما يأتي لن تكون هنا .. فبعد حين ستكون مدادا لكلمات جديدة ويخلو المكان .. أطاحت بالكتاب على طول يدها .. استقر على

شئ رخو .. تسللت رائحتها التي أعرفها إلى أنفي  
المحشور بين الكلمات .. لعلها تتزين لغيري ..  
موت الآخرين متعة حياتها .. والضحية الجديد  
ضخم الجثة .. يلهث كالكلب .. كلما خلعت قطعة  
من ملابسها ازدادت عيناه جحوظا .. مد يده محاولا  
لمسها .. تراجع في دلال بالغ .. لم يبق على جسدها  
سوى القطعة الأخيرة .. ذاب الغبي وسال لعبه  
حتى انزلق فيه .. ضحكت بنشوة المنتصر .. تقدم  
نحوها بلا وعي .. اندفع .. تمنعت .. بلاوعي مزق  
ماتبقى عليها حتى لم يبق سوى شريط مهلهل حول  
خصرها تتعلق به أشلاء من نسيج أحمر شفاف ..  
برزت معالم الموت .. اندفع المسكين كالبركان  
.. فاضت نشوتها وهي تسمعه يصرخ منزلقا في  
طريق ليس له نهاية .. خفت صوته .. ثم تلاشى .  
اعتدلت من رقدتها .. مدت يدها وسحبته مغشيا  
عليه .. قد يكون ميتا .. ألقته بجانب السرير ..

عندما نهضت لم تعبأ به .. طالعت وجهها  
وجسدها في المرآة المجاورة .. تحسست نهديها  
.. حاولت أن أقفز إلى حيث كانت .. تمنيت أن أموت  
ألف مرة إذا كان الموت بهذه الروعة.

كعادتها .. سمعت أفكارى .. لسعتنى بابتسامة  
ماكرة ثم تركت المكان كقائد يخرج منتصرا من  
الميدان بعد معركة قد حسمها بأطراف أصابعه ..  
في الكتاب .. قتلى وشهداء وأشلاء .. سأغفو قليلا  
ريثما تعود .. زلزلني دفؤها حين عادت .. لم أشعر  
إلا وهي بين أحضاني .. تصهرني وتعيد صياغتي  
.. هي الموت والحياة إذن .. فاض كل شئ .. شرعت  
في قراءة الكتاب ، استوقفنتى بكلمتين :

— ليكن ذلك غدا.

★★★

يوم الحذاء

obeikandi.com

أربعة أيام وتنتهى الإجازة الصيفية ويعود للمدرسة. يعيش خيالاً مستمراً منذ أن وطئت قدماه مدرسة القرية قبل ست سنوات. عندما أنهى عامه الدراسي الأول تخيل أن الإجازة الصيفية مثل دكان يرعاه موظفون وعمال يتوافدون في آخر أيام العام الدراسي لفتح دكانهم للتلاميذ ويدعون الأطفال للدخول ليوزعوا عليهم ما يستمتعون به طوال إجازتهم، فيسارع الأطفال بالدخول مرحين فرحين، فمنهم من يفوز بدمية جميلة أو لعبة تتحرك، ومنهم من يفوز بعدة أيام يقضيها بالمصائف مع أسرته، وغيرهم يفوزون بجولة سياحية في العالم الخارجي، وهناك آخرون لا يتبقى لهم سوى أن يعملوا ويكدوا في الحقول من الصباح الباكر حتى الغروب ليعولوا أنفسهم وأسرهم التي كابدت طوال العام الدراسي لتضمن لهم أقل القليل من الأكل والشرب طوال العام

الدراسى. كان عمل هؤلاء أيضا ضروريا ليوفروا مايلزم استعدادا لعام دراسى آت بعد حين. صاحبنا كان دائما من هذه الفئة الأخيرة التى لم يكتب لها إلا الشقاء.

هاهو يلمح موظفى وعمال دكان الإجازة الصيفية يللمون أغراضهم ويتبادلون النظرات فيما بينهم وكثيرا ماينظرون إلى تقاويم معلقة على الهواء يترقبون لحظة إغلاق الدكان.

كان مبتسما راضيا، ذكيا متفوقا، لايعرف الدروس الخصوصية ولا الكتب الخارجية أو حتى مجموعات التقوية زهيدة التكاليف، أو أنه لم يحاول أن يعرف كل ذلك، فقد أغدق الله عليه من الذكاء والفتنة ما يغنيه عنها.

قال لأمه وهو يهمم بالتهام آخر لقمة في طبق الجبن الشهى الذى وضعته أمامه هو وأخته ذات السنوات الأربع :

لاتنسى يا أمى فعدا موعدنا للذهاب إلى المدينة لشراء الحذاء الجديد كما اتفقنا، لقد أبلغت الريس اليوم أنني لن أذهب إلى العمل مع الأنفار غدا، أما أختي فلنتركها عند خالتي تلعب مع بناتها فهي مازالت صغيرة ولا تقوى على هذا المشوار. نظر إلى أخته وربت على كتفيها وهو يزين لها البقاء عند خالتها حتى يعود وأمه من مشوار الغد. كان الليل طويلا، ولكنه أيضا كان جميلا. لم يستغرق في النوم رغم شقائه في الحقل طوال اليوم. تناثرت حوله خيالات لعشرات الأحذية بأشكال مختلفة. عاش بينها ومعها سعيدا جدا حتى خيل إليه أنه واحد منها. كان مستلقيا على ظهره في الغرفة الوحيدة المظلمة. لم يكن يشعر بوجود أمه وأخته المستغرقتين في النوم إلى جواره. أخذ يقارن كل الأحذية الجميلة التي تداعب خياله، ترى أيها تقبل صحبتي خلال السنة الجديدة مقابل الجنيهات

القليلة التي تستطيع أمي أن تدفعها؟.. حسم النوم  
القضية .. أغمض عينيه مبتسما .. ونام حافي القدمين.

الميكروباس يشق طريقه بين المزارع مثيرا خلفه  
سحابات كثيفة من الأتربة .. اختار أن يجلس  
بحوار النافذة .. أمه تلاصقه .. يشعر بدفئها .. بل  
يشعر أنه يجلس في صدرها وليس على هذا المقعد  
القاسي .. يعرف كل ما يمر به من طرقات القرية..  
حتى هذه الأشجار يعرفها شجرة شجرة .. إنه نفس  
الطريق الذي تسلكه سيارة المقاول الضخمة البغيضة  
كل يوم مابين القرية ومواقع العمل بالحقول.

شد ظهره إلى المقعد وألصق وجهه بزجاج النافذة  
والسيارة تمرق بمحاذاة الرشاح .. هاهي سيارة  
المقاول تقف فارغة والأولاد والبنيات منتشرون بحقول  
القطن وقد أحنوا ظهورهم يلتقطون لطح الدود من  
شجيرات القطن الغضة..

لمح بعضا من وجوههم .. إنهم أنضر وأجمل من القطن نفسه .. هل يبدو هو أيضا هكذا عندما يكون ضمنهم؟ سؤال غريب طرأ على خاطره للحظات ثم تلاشى .. ولكنه كان سعيدا .. ود لو نزل وانضم إلى زملائه .. ولكن اليوم هو يوم الحذاء المنتظر.

خرج الميكروياص إلى الطريق السريع .. اختلفت كل الصور .. سيارات من أشكال عديدة .. جميلة .. يستقلها أناس منمقون وهي تمرق في سرعة مذهلة .. الميكروباص أصبح مستقرا فى سيره .. لاهزات ولا رجرجات ولا مقبات .. ولا غبار .. لوحات الإعلانات في كل اتجاه .. إنها لبشر غيرنا .. هكذا أجاب لنفسه بنفسه.

نسي الحذاء الذي بات يحلم به لفترة .. أخذته لوحات الطريق ... قرأ بعضها والبعض مر بسرعة لم تمكنه من تحقيقها ... فهم كل ماقرأته عيناه : أسماء المدن ، إعلانات المنتجات المختلفة إلا هذه اللافتة الغريبة: اتبع إرشادات المرور .. كان هذا هو سطرها

الأول .. مفهوم ولامشكلة فيه .. وفي السطر الثاني «مصر بلدك خايفة عليك»، تعجب جدا « خايفة» لو كتبها هكذا في كراسته لعاقبة مدرس اللغة العربية بالتأكيد شغلته هذه العبارة الغريبة وتوقف عن متابعة باقي اللوحات. ترى من الذي اخترع هذه العبارة العجيبة وماعناها؟ سأل نفسه فلم يجد ردا لسؤاله. نظر إلى أمه.. تمنى أن تستطيع القراءة لتقرأ بنفسها هذه العبارة الغريبة .. ولكن هيهات أن تقرأ حرفا... كانت اللوحة قد مرت منذ فترة عندما التفتت إليه أمه في حنان بالغ وكأنها سمعت أفكاره .. أعاد عليها العبارة .. ربتت على كتفه وهي تنظر إليه في إشفاق. عرف ردها عندما لم ترد « ستعرف كل شئ عندما تكبر» .. لم يشأ أن يرهقها أكثر من ذلك فعاد بنظره إلى النافذة وهو يقول لنفسه «المهم الحذاء».

استقبلتهم خالته عند باب بيتها .. شكت من أخته وشقاوتها وكيف أنها ضايقت بنات خالتها،

وكيف أنها ظلت تبكي لأكثر من ساعة.

فتح الصندوق وأخرج الحذاء الجديد .. «مبروك على الأرض» قالت خالته وهى تدفع بناتها الثلاثة بكلا ذراعيها بعيدا عن الحذاء.

عاد وأخته وأمه إلى دارهم. ثلاث أيام وبذهب إلى المدرسة مباهيا بحذائه الجديد.

في الصباح .. امتلأت ساحة القرية بعشرات الأطفال .. أولادا وبناتا .. يفركون النوم في أعينهم بأناملهم الصغيرة .. أجساد صغيرة غضة كتب عليها الشقاء والكفاح .. يتبادلون النظرات دون حديث ويترقبون بداية يوم طويل حافل بالحركة والعمل والعرق . تمنى لو حدثهم عن رحلة الأمس والحذاء الجديد فلم يجد مايشجعه فابتلع الكلام. أحكم قبضته على لفافة صغيرة في يده وضعت له أمه فيها شطرة خبز وقطعة جبن وجبة لغذائه عندما يسمح لهم بتناول الغذاء في الحقل وقت القيلولة.

قرر أن ينتظر إلى القيلولة ليحكي لزملائه حكاية  
رحلة الحذاء التي عاشها بالأمس.

من بعيد .. لاح غبار كثيف يرتفع إلى السماء  
مشوها مارسمه الشروق من جمال خلاب قبل  
أن يقطع ضجيج لورى المقاول سكون الطبيعة  
المسالمة. هاهو يظهر في الأفق البعيد وتلمحه عيون  
الصغار بكآبة طلعتة وكلاحة ألوانه .. إن كان  
له ألوان .. يجر نفسه جراً .. فأمثاله يرقدون في  
تلال الخردة من سنوات. أخذ ينوح بسريرته  
مولولا معلنا وصوله أو أنه كان فرحاً أن وصل.

قفز المقاول من فوق المقعد الممزق بجوار السائق  
قبل أن تسكن حركة اللورى ملوحاً بعصا لاتفارق  
يده فهولت السيقان النحيلة بلا تفكير يساعدون  
بعضهم بعضاً في القفز إلى الصندوق الخلفى للورى  
حتى إذا امتلأ .. تراجع كل من لم يفز بمكان فيه إلى  
الوراء لينتظروا اللورى التالي. لكن المقاول صرخ في

الحشد المتراجع وهو يسبهم بأفزع السباب ليركبوا  
وأن يكفوا عن الدلع والرفاهية !!

تدافع المساكين يتسلقون الصندوق من كل جانب  
حتى اكتظ الصندوق بلحمهم وأصبحوا جميعا كجسد  
واحد له عدة رؤوس.

حاول صاحبنا أن يتلفت حوله فلم ير شيئا  
.. أحس أنه قد حشر في أنبوب ضيق .. تحرك  
الوري وثار الغبار .. زكمت الأنوف وسدت  
الأعين .. خضت الأحساد الصغيرة فى كل اتجاه  
بلار حمة .. خطر بباله الحذاء الجديد .. فلم  
يستطع أن يتذكر شكله .. اكتشف فقط أن هذا  
الحذاء أفضل منه حظا .. فله صندوق صنع  
خصيصا له وعلى قياسه .. لايزاحمه فيه أحد.

رفع نظره لأعلى .. لم تعد الأشجار كما رآها  
بالأمس، فهى اليوم تبدو ذابلة كثيبة تترنح تحت  
وطأة غبار هذا اللوري اللعين. قفزت إلى رأسه تلك

العبارة الغربية «مصر بلدك خايفة عليك» .. حاول أن تجد لها تفسيراً فجال بجنابات نفسه باحثاً فلم يجد إلا سؤالاً: «ترى من يخاف عليّ غير أمي المسكينة؟».

لمح بصعوبة طريق الرشاح .. لقد اقتربنا إذن من نهاية المشوار. حاول ببراءة أن ينسى كل شيء: الحذاء واللافتة والزحام وشكوى خالته من شقاوة أخته حبيبته.

كاد أن ينام واقفاً أو لعله كاد أن يغشى عليه من الزحام وشدة التدافع والتمايل وهو غاطس بجسده الضعيف وسط هذه الكومة من اللحم. كان يعتقد أنه الوحيد الذي يعاني فأبى أن يئن أو أن يسأل الآخرين عن حالهم.

الكل يبدو صامداً أو كتب عليه الصمود فصمد مستسلماً ومسالماً. ترى ماذا يكسب اليوم بعد هذا الشقاء؟ ..

مأن استقام اللورى على طريق الرشاح حتى زمجر وثار وتمايل وانخفض وارتفع فأخذت الأجساد الصغيرة تتطاير في كل اتجاه .. حتى أخذ طريقه

منتحرا في مياه الرشاح العفنة ، وما أن اطمأن اللورى لنجاح انتحاره حتى انقلب على ظهره بعد أن غمرته المياه وتحتته ملائكة لم يعطهم حتى فرصة للأنين.

تحسس رأسه بيده وهو ملقى بجوار أحد الأشجار التي أحس فيها وهي تظله أنها في روعة أمه وحنانها.

لم يكن يدري ماحدث.. عشرات المزارعين يهرعون إلى المكان يقفزون قفزا ويلقون بأنفسهم في المياه القذرة دافعين بأجسادهم نبات ورد النيل الكثيف المتشابك على سطح الماء الراكد .. يبحثون عن الملائكة .. ولكن هيهات.

لمح السائق ذا الشوارب جالسا القرفصاء بعد أن قفز من اللورى عندما أيقن أنه على وشك السقوط في الرشاح ، لعله يفكر فيما يرد به على زوجته عندما تسأله عن سبب اتساخ ملبسه على هذا النحو وهو الجالس على عجلة القيادة .. موظف حكومة .. ليس كالفلاحين ... أخيرا وجد الإجابة .. تذكر فجأة أنه

رأى لوحات هذا اللورى مكتوب عليها « حكومة » ...  
حكومة يعني مصر .. تذكر اللوحة العجيبة « مصر  
بلدك خايفة عليك ».

النهاية : عناوين ضخمة تملأ صفحات الحوادث  
.. صور المقاول والسائق وحطام اللورى .. أسماء  
الملائكة وكأنها كشف أسماء الفصل في العام الدراسى  
الجديد .. اتهامات متبادلة .. الكل برئ .. تصريحات  
وتحركات وصور لمسئولين .. إعانات فورية هزيلة لمن  
أبوا الإعانة أحياء وآثروا الشقاء، هاهي تفرض  
عليهم أمواتا.

في الصباح .. وفي كل صباح .. تزمجر اللواري في  
ساحات القرى .. بل وفي ميادين المحافظات .. تمتلئ  
بضحايا جدد .. يسعون إلى لقمة العيش.

★★★

# حنان

---

نشرت بجريدة الأخبار المسائى فى ٢٠١٥/٣/٢٢

obeikandi.com

لاحت في الأفق بشائر الصباح فتمطى الديك ووقف  
 مزهوا بريشه الناعم الملون وعرفه الأحمر الخفاق  
 يعلو رأسه ثم تحرك في خيلائه بخطى راسخة  
 نحو العشة المتهاكة القابعة في ركن السقف القذر،  
 وما أن اعتلاها حتى بدا رأس العجوز يطفو وهي تدق  
 بكعبيها آخر درجات السلم المؤدي إلى السطح. لمحته  
 فأصابته نظرتها من حيث لا يدري، وأصابه الحازوق  
 فما صاح ولا ناح، بل اهتز كيانه وانتفض انتفاضات  
 متلاحقة حتى بلغ حافة سقف العشة وسقط مهلهل  
 الجناحين جاحظ العينين مثيرا ترابا كثيفا جعل  
 ريشه أسوأ حالا من الكنسة. تعالى صياح الديوك  
 في الجوار وكأنها تهلل لسقوطه، والعجوز قد كسا  
 وجهها تجهم مخلوط بالغيظ والحنق والقسوة، بينما  
 هرعت الدجاجات بثياب نومها إلى حيث سقط  
 سبعها، وتبادلن نقاشا حاميا، ولم يفعلن شيئا من  
 أجله ثم تواريين وتفرقن عندما اقتربت خطى العجوز

منهن، وتحجرن جميعا في أماكنهن عندما صوبت اليهن نظراتها المخيفة وارتعدت أجسادهن فكل واحدة منهن تتوقع أن تقبض يد العجوز عليها ثم تخرج السكين من بين ثنايا ثيابها كالحية السوداء فتقطع رقبتها ثم تلقي بجثتها على الأرض. وكأن وحيًا قد سرى بينهن فتجمعن في نصف دائرة حول الديك المسكين وأخذن يدفعنه جهة العجوز التي انحنى، ففرقت عظام ظهرها حتى سمعته الدجاجات رعدا فتفرقن برقًا. قبضت العجوز على رقبة الديك ورفعته فتدلى في يدها كالخرقة البالية ثم دست رأسه في مسقاة كانت على مقربة من باب العشة، فشرب المسكين رعبا وذهب عنه الحازوق فألقت به أرضا وتلفتت حولها لترى صغيرا يقترب وكأنه يتراجع فلم تأبه به ولم تلن ملامحها بل دست يدها في ثنايا ثوبها وأخرجت سكينها برق حده تحت شعاع الشمس الوليد واستدارت في حركة عسكرية متفحصة كل ماحولها لتبدأ مذبحه الدجاج. ما أن اصطدمت

عينها بالصغير الذي كان متحجرا على مشارف  
سلم السطح حتى انتفض المسكين وارتجف ولف  
واستدار وارتعد وتعثرت قدماه في قدميه حتى بلغ  
رأس السلم، فلم يميز له رأسا ولا عقب ودبت قدمه  
اليمنى في الفضاء فهوى سريعا صريعا في فناء البيت.  
انتهت العجوز من ذبح ثلاث دجاجات ثم دست  
السكين والدماء تقطر منه بين ثيابها وقبضت بيسراها  
على أرجل الدجاجات الذبيحة واتخذت طريقها إلى  
السلم. تساقطت خطواتها على الدرجات حتى بلغت  
الفناء الرحب، فإذا الديك يقف شامخا أمامها  
وخلفه الصغير يداعبه، فعلا صياح الديك وتهلل  
وجه الصبي فرحا بهذا الصياح الذي يعشقه ولكنه  
اصطدم بنظرة العجوز التي كادت تصهره فصاح فزعا:  
— عمتي حنان.

وسقط ممددا بالفناء مفضلا الموت على البقاء.



obeikandi.com

جلانی

obeikandi.com

عشرة أعوام مرت والعجوز تعيش وحيدة في هذه الشقة التي كانت ولسنين طويلة مسرحا لحياة كلها حب وألفة ومرح، قبل أن يرحل الزوج في رحلته الأخيرة الى مقابر الأسرة في قريتهم الصغيرة القابعة بإحدى محافظات صعيد مصر، وبعد أن تزوجت وحيدتها «رجاء» من مصطفى ابن جارهم الحاج شوقي الصعيدي.

تذكرت أنها هي صاحبة الحكم على نفسها بالوحدة، فقد رفضت أن تعيش معها ابنتها وزوجها أو أن يصطحبها لتعيش معهما في بيتها الذي يبعد خطوات عن شقتها التي ألفتها، فهي تؤمن أن حياة أي زوجين لاتحتمل شريكا ثالثا حتى يضمن لها النجاح والحرية. حتى عندما رزقت رجاء بوحيدةا عمر منذ ثمانى سنوات، رفضت العجوز أن تعيش معهم عندما رجوها أن تكون راعية للصغير في فترة خروج والديه للعمل، وأصرت أن يحضراه إليها في شقتها وهي كفيلة برعايته طول العمر.

كان شريط حياتها ومواقفها، بل وكلماتها وكلمات من عاشت معهم، تتردد في أذنيها دائما وهي تتحرك في ثقل داخل الشقة، ولكنها كانت مقتنعة تماما بكل ما فعلت، وراضية بما آلت إليه حياتها.

تذكرت كم كانت لوعتها وبكاؤها المر عندما ذهبت رجاء ومصطفى إلى قصر الاتحادية ليعبرا عن رفضهما للإعلان الدستوري المجحف، وتركها عمر معها، وكيف أن أخبار الغدر كانت تنطلق من التلفزيون كالطلقات تهتك مشاعرها وتهز كيائها، كادت أن تموت قبل أن تعود ابنتها وزوجها فجر اليوم التالي وقد نالهما بعض الجروح وتمزقت بعض ثيابهما.

لم تكن دموعها قد جفت بعد عندما سمعت جرس الباب يأتي كالحلم. بخطوات مجهدة تحركت نحو الباب لكن ابنتها سبقتها وفتحت بمفتاح تحتفظ به معها دائما. رجاء وزوجها وعمر يحيطونها في حب غامر ويجلسونها بينهم. عمر يتقدم إليها وفي يده علم ويتمسح بيديها :

- خذي يا جدتي هذا علم أحضرته لك .
- لم تفهم شيئاً .. ولم يلحظ ذلك عمر الذى استمر :
- لقد اشترينا أعلاما وسنذهب إلى الاتحادية  
لنؤيد جيشنا ، وأنا أعرف يا جدتي أنك تحبين  
مصر وجيشها .. فأحضرت لك علما مثل أعلامنا  
التي سنحملها .
- انقبض قلب العجوز لبرهة ، وقبل أن تنطق ، قالت رجاء :
- يا أمى جيشنا العظيم يحمينا هذه المرة ، لم  
يخذلونا ولن نخذلهم ، لاتقلقي .
- وربتت على كتفيها واحتضنتها ، ولكن دموع  
العجوز غلبتها وهي تدعو لمصر بالنصر على من ظنوا  
أنهم بالبلطجة قد حكموها . قالت وقد اطمأن قلبها :
- والنبي يامصطفى يا بني افتح لي التلفزيون وخلي  
الصوت عالي شوية .. معلىش يا بني عايزة اطمئن .
- تركوها أمام التلفزيون تتابع وقفة الكرامة  
والثأر . شعرت بعنفوان لم تألفه ، بكت وبكت  
وبكت ، وأفافت على أصوات الأفراح والأغاني

والأناشيد الوطنية تصدح في الشارع ، كان علمها ،  
بيدها تقبض عليه بقوة وفخر، لم تتركه للحظة ،  
تلوح به وحدها، كانت تشعر أنها هناك، يراها  
الناس ، ودون أن تشعر أطلت من شرفتها في الطابق  
العاشر، لاتكاد ترى تفاصيل مهرجان الشارع،  
ولكنها كانت وسط المهرجان بقلبها، أخرجت  
يدها ملوحة بالعلم من الشرفة وهي تصرخ : مصر  
..مصر..مصر، كانت تشعر أن الدنيا تردد خلفها  
النداء. لم تدر كم من الوقت مر عليها قبل أن  
توظفها ابنتها وهي نائمة في الشرفة قابضة على  
علمها، ماإن تنبهت حتى عاودت الهتاف :  
— مصر..مصر..مصر.

ارتفع صوت آذان الفجر معلنا بداية صوم  
يوم جديد، ضحك عمر وهو يداعب العجوز:  
— ماأجمل سحور الليلة يا جدتي.

★★★

# عسليّة

---

نشرت بجريدة الأخبار المسائي في ٢٠١٥/٨/٢٧

obeikandi.com

عندما رقد عم فكري تحت وطأة المرض، كان بصره معلقا بهذا اللوح الخشبي ذى الأجناب الرقيقة المزركشة والرابض في ركن الغرفة المقابل لمرقده، تلك اللفافات الصغيرة الملونة هي كل بضاعته ورأس ماله الذي يكسب من ورائه مايسد به رمق ولديه، ويمكنه من أن يوفر لهما مصروفا يكون في الغالب تعريفه ويصل إلى قرش كامل في أيام الفرج، أحيانا كان الولدان يتسللان صباحا إلى مدارسهما دون أن يشعرو حتى لايسببا له ألما، وهما يقرران ذلك دون ترتيب بينهما عندما يريان علامات الحزن بادية على ملامحه وهو عائد آخر اليوم إلى البيت حاملا ما بالكاد يكفيهما من طعام، ومدعيا أن مرسى القهوجي قد عزمه على طعام، فهو لن يأكل.

كان راقدا وعقله يسعى بين لفافاته التي يحبها ويعرفها واحدة واحدة، ويمد إليها بصره فكأنما

يربت عليها بعينيه، تلك لفافات الروبوسوس  
البنية، وهذا لبان إيكالذي تعشقه الصغيرات،  
أما هذه اللفافات الأسطوانية فهي لأقراص النعناع  
المنعشة. ابتسم وهو يقول لنفسه: ودي العسلية،  
أيوه دي النداعة، وده برطمان الطوفي، واللي  
جنبه برطمان الأرواح، وده بتاع الفندام، ثم حدق  
في الجدار وكأنه ينظر في مرآة لا يراها غيره:  
— ياسلام عليك يافكري.

مرت أيام ثلاث وهو يشعر بثقل أطرافه حتى  
أنه لم يعد قادرا على مغادرة السرير، ولولا سيد  
وأدهم وجارهم الأسطى زين الجزمجي لتحلل فكري  
في سريريه من فرط القذارة.

كاد سيد يطير فرحا عندما عاد من مدرسته فوجد  
أباه وكأنه لم يمرض أبدا، رآه منحنيا على لفافته،  
يتحسسها ويشم بعضها، فكأنما انتقل إلى دنياه  
وحملته كما كان يحملها وأخرجته ليدور دورته التي

اعتادها لسنوات طوال سعيا وراء رزقه. وفرت دمعة لتبلل لحيته التي طال شعرها، وكأنه يودع عزيزا عليه أدرك أنه لن يراه ثانية. استدار فلمح سيدا، لم ينطق ولم يئن، بل تحرك بشكل طبيعي جدا حتى بلغ مرقدته فتمدد فيه، استولى الرعب على سيد مما يرى من أحوال أبيه الغريبة، وانقبض قلبه عندما سمع أباه يهمس بصوت مخلوط بالرضا والابتسام:

- يا حاج سيد خلي بالك من الدكتور أدهم.

سكنت الدنيا تماما، أغلقت نوافذها وأبوابها واهتزت الأرض والجدران بسيد الذي انكفأ يقبل جثمان أبيه بينما كلماته الأخيرة تفور وتتردد في مسامعه، لعله يفهمها يوما ما.

هاهو يقابل الموت للمرة الثانية، كانت الأولى عندما توفيت والدته بعد ولادة أدهم بيومين اثنين، قالوا ساعتها أنها عانت في حملها، وماكان يجب أن تحمل وتلد، إلا أن الحاجة رسمية الداية ولدتها

بسهولة ويسر، ومضت بعد أن رفضت أن تأخذ أجرا، ولم تكن تدري أنها قد تركتها لأمراض لاتعرفها تصيدتها في ذروة ضعفها بعد الولادة.

في المستشفى كان كل جيرانهم يجرون في كل اتجاه بحثا عن الطبيب، ثم لايلبث أن يعود كل منهم إلى حيث كانت أم سيد ليلقي عليها نظرة وكأنهم جميعا كانوا يدركون أنها على حافة الموت. تجمعت كل النساء على صوت الست أمينة وهي تولول معلنة موت أم سيد، ولم تتردد أي منهن في المشاركة بالصراخ ولطم الخدود، وتوالت المشاهد حتى عاد فكري وولده صامتين من المقابر وحولهما جمع من جيرانهم يبادلونهما النظرات الصامتة.

ما أن رأتهما نادية ابنة الأسطى زين ذات السنوات العشر حتى جرت إليهما:

— ياعم فكري، النونو عندنا.

وكأنه لم يسمعها، ولم يعرها هو أو غيره انتباها، هرولت خلفهم وأخذت تجذب أطراف ثوب من تلحق به وهي تصيح:

— النونو عندنا.

وبعد عشرين عاما، شعر الحاج سيد، صاحب واحدة من أشهر شركات السياحة، بمن يشد طرف سترته الفخمة، وصوت الطفلة مازال يتوسل:

— النونو عندنا.

فانتفض في مقعده الخلفي من سيارته الفارهة، تلفت فلم يجد سوى الدكتور أدهم منهمكا في قراءة أحد المراجع الطبية التي لاتفارقه، والسائق بدا وكأنه يسير أمام السيارة على الطريق المؤدي إلى الساحل الشمالي وهما في طريقهما لمتابعة العمل في قريتهما السياحية التي لم تكتمل بعد والتي شرعا في إنشائها منذ أكثر من عام، ثم ليبيتا ليلة أو ليلتين بفيلتهما بمارينا.

بدا وكأنه عائد من مشوار طويل سيرا على  
الأقدام، لاحظ ذلك الدكتور أدهم، وقبل أن يسأله  
عما ألم به، بادره الحاج سيد:

— نادية بنت عمك زين الله يرحمه هاتجوز بنتها  
يوم الخميس، يبقى بكره لازم نكون في مصر.  
وأخرج من جيب سترته الفخمة قطعة من العسلية  
قذفها في فمه، وكأنه قرر أن يكمل معها حديثه ... صامتا.

\*\*\*

# الفسنان الأسود

obeikandi.com

لا يدري كيف وصل إلى هذا المكان، فقد وجد نفسه هائما في هواء شقته الرحبة بلا جسد، وكأنه مرسوم في الفراغ، يسمع ويرى ويفكر ولكن بلا إحساس بغضب أو رضى ولا حزن ولا فرح، كل الأحاسيس تراجعت إلى نقطة الصفر وفقدت وظائفها، إنه يملك القدرة على التنقل في أرجاء المكان بلا خطى ولا سيقان، فالمكان الذي يخطر بباله يجد نفسه فيه.

حين ولج إلى غرفة نومه البديلة، مكان أسرته واحتجازه، لمح نفسه ممددا على سريره ميتا، أيقن ساعتها أن روحه قد فرت من هذا الجسد المعذب ولاذت ببارئها، وأن الله قد منَّ عليه بالراحة وأشفق عليه من طول الشقاء.

تعجب كيف يكون ميتا ولأحد حول سريره ولأنواع ولاصياح، وأين الست صفاء هانم زوجته إذن، عاد إلى الصالة فوجدها وقد انفرجت أساريها جالسة على مقعد وثير وقد عقدت ساقها في

فخامة مصنعة، ولكنها تصدقها وتؤمن بها، وكانت السر وراء كل جولاتها النكديّة، كانت مابين فينة وأخرى ترتشف رشفة من كوب أمامها ملأته بالنسكافية. مدت يدها إلى الهاتف وأسندت ظهرها للمقعد وبدأت في التحدث:

— إزيك ياعادل؟

— إزي علي ومصطفى وسالمة؟

— إزي مراتك؟

— لا لا ولا يهملك .. كله تمام .

— باقولك إيه .. أنا صحيت الساعة واحدة لاقيته ميت في السرير.

— أيوه ميت بجد .

— لا .. لسه ماحدث يعرف .. انت أول واحد أكلمه.

— شوف انت حكاية الحانوتي والتربي والكلام ده خيلنا نخلص.

— آه .. شوية كده وهاكلمهم

— ماشي ياخويا .. ربنا يخليك .. باي.

تعجب صاحبنا جدا، فرغم أنه يدرك ما في باطنها وكان يراه طوال العمر إلا أنه، بفطرته السوية، لم يتخيل أن يكون بهذا القدر. كان عادل هذا ثقيل الظل إلى أبعد الحدود، يتصنع الرجولة التي لا يعرف عنها شيئاً ويدعي ماليس فيه ويزج بنفسه في مجالس الرجال فيكون محط كرههم وسخريتهم.

هاهي تفرغ من النسكافيه وتقلب في قنوات التلفزيون وتتوقف عند عرض للأزياء، ترفع الصوت لتمتع نفسها قبل أن يعرف الجيران بوفاة الرجل ويصبح عيبا عليها فتح التلفزيون.

وكأنها تنبهت لشئ عليها أن تستعد له، أغلقت التلفاز وقصدت خزانة ملابسها، تبعها الطيف، رآها وهي تكاد تطير من الفرح، تطيح بملابسها يمينا ويسارا، فيسقط على الأرض مايسقط

ويبقى مايبقى، انتزعت ثوبا أسود وألقت به على السرير المجاور، عبرت بعرض الغرفة جيئة وذهابا وهي تدهس الملابس التي غطت بها الأرض.

تعجب لانفراج أساريها على هذ النحو والاحمرار الذي كسا وجهها والبريق الذي بدا في عينيها، أسرعت إلى المرأة واقتربت منها بوجهها حتى خيل إليه أنها ستلثمها، ابتسمت ومضت تتلفت في كل اتجاه حتى التصق بصرها بسقف الغرفة، مدت يدها للثوب الأسود الملقى على السرير دون أن تنظر إليه، ثم تراجعت وهي تكاد ترقص، سمعها تحدث نفسها:

— الفستان الأسود ينفع في اليوم الأبيض.

تناولت هاتفها المحمول الملقى أمامها على المنضدة، عقدت ساقها واستحضرت في نفسها صورة الحزن فأضفتها على ملامحها وتهيأت لنقل الخبر المفرح بحزن مصطنع، بدأت في نقر أول الأرقام ثم توقفت فجأة عندما تنبهت أن التليفزيون مازال يصدح بالأغاني، أشارت إليه بالريموت فأخبرته

وعادت إلى هاتفها، شرعت في نقر الأرقام على الشاشة المضيئة، شلت يداها عندما سمعت صوت مفتاح يدار بباب الشقة، فهو فقط من يحمل مفتاحا، أسرع نحو الباب، هو في وجهها بكامل هيئته، صامتا متجهما كعادته، خطى نحو الداخل فسقطت على الأرض مدثرة بثوبها الأسود، وضع حقيبته جانبا وجثا على ركبتيه إلى جانبها، تحسس جبهتها فهاله برودتها، قبض على معصمها فلم يستشعر نبضا، هم واقفا وأخذ طريقه إلى غرفته وأخذ في تغيير ملابسه في طقوس يمارسها كل يوم، مسح أركان الأسقف بعينييه فلم يلاحظ شيئا غريبا، نظر إلى سريره وابتسم، لاميت ولاجثة، لم يدر مالذي ساق كل هذه الخواطر في ذهنه وهو في مكتبه، حتى أنه انصرف مبكرا ساعتين عن مواعده قاصدا بيته، شعر براحة لم يصادفها منذ أكثر من ثلاثين عاما، فقد صمتت قاذفة السموم، وتعطلت آلة الغل والحدق، وتهاوت المتغطرة إلى أسفل سافلين، شعر بالأكسوجين يملأ الجو ونور الشمس يخترق الجدران،

انتزعه جرس الباب من أفكاره، فتح الباب ليفاجأ بالرجل المسوخ على الباب فاغرا فاه، منعقد لسانه وهو يواجه الميت، دعاه للدخول متجنباً النظر إلى وجهه، سأل صاحب الدار:

— جبت المغسلة والحانوتي و جهزت التربة؟

— .....

— شوف تحب تعمل العزا فين.

— .....

— طبعا لازم مكان يليق بالمقام.

— .....

لم ينتظر منه رداً، دخل إلى غرفته، تمدد في سريره، راح في نوم عميق لم يعرفه منذ سنوات طوال.

★★★

# كاتب

نشرت بجريدة الأخبار المسائي في ٢٠١٤/٩/٢٨

obeikandi.com

علا الضجيج في صدره، لم يعد مجرد أصوات  
غاضبة تائرة، بل أضحي زلزلات وتقلبات عشوائية  
مؤلمة. تحمل قدر استطاعته، قاوم الانكسار ورفض  
الاستسلام إلى أن فاق الألم في صدره أقصى طاقات  
احتماله. لا يدري ما الذي جعله يؤمن أن روحه قابضة  
في صدره، ولكنه وجد نفسه مؤمناً بذلك ومرتاحاً  
لهذا الإيمان، واليوم تجمعت الآلام والأوجاع  
والمعاناة وروث الصبر الذي تراكم طوال العمر آكلاً  
شارباً في هذا الصدر الضيق الرحب. ازدحم ميدان  
صدره بهؤلاء، وشعر بهم يدقون صدره بأقدامهم  
واخترقت أصوات هتافهم: « حرية .. حرية »  
جدار جمجمته لتصل إلى قوقعتي أذنيه مباشرة.  
لم يكن عقله في حاجة إلى عينيه كي يقرأ تلك  
اللافتات التي حملتها المشاعر في ميدان الصدر:

— “أخرجنا من هنا”

— ”اطلقنا لتريح وتستريح“

— «أليس لصبرك نهاية؟»

— « اصبر وحدك فقد مللنا».

استشعر الخطر فاستدعى قوات الحب والحنان  
من قلبه وسكب منها الكثير على تلك الحشود،  
وكأنه سكب عليها وقودا، فتساقط الحب  
والحنان تحت الأقدام وازدادت الثورة ثورة،  
وبكى قلبه حزنا عندما أدرك أن الحب والحنان  
لم يعودا قادرين على إطفاء نيران الحزن والضجر.  
تأكد أن صبره الطويل قد أصبح يأسا، وماذا  
يكون اليأس سوى أنه صبر بلا نهاية، شعر أنه  
حبيس مصيدة العمر، واكتشف أنه هالك لامحالة.  
استل قلمه من حذائه واتخذ من ورقة بيضاء  
ساحة للقتال، أطل عقله خلال ثقب عينيهِ وبدأ  
يملى عليه كلاما لم يسبق له أن كتبه، اندفع  
قلبه إلى لسانه معترضا ومحاولا أن يملى عليه كما

تعود دائما، زجره العقل وأعادته حزينا إلى مكانه.  
بعد ساعات طوال، تنهد العقل وارتمى مسترخيا  
مستريحا بعد أن أخرج ما عنده على عشرات الأوراق،  
هدأت الثورة في صدره، تمدد على أرض الغرفة وبدأ  
يقرأ ما أملاه عليه عقله، فجعته الحقائق وأحزنه حال  
قلبه الذي صحبه عمره كله، أصابته هيستيريا من  
الضحك المجنون أعقبته نوبة من البكاء المر، مزق  
الأوراق بعصبية شديدة، ارتمى فوق كومة القصاصات  
في وسط الحجرة مزرجا في دموعه، وما زال يبكي.

★★★

obeikandi.com

# أنا وبهانة

---

مستوحاة من قصة «أمنيات بهانة».

للأديب الكبير الأستاذ / فؤاد قنديل رحمه الله

obeikandi.com

كانت الساعة العاشرة مساءً عندما هممت  
بالانصراف بعد إفطار رمضاني في الفندق الكبير.  
الموسيقى الهادئة تزين قاعة الطعام والبوفيه المفتوح قد  
أصبح كأرض معركة وضعت أوزارها بعد مدفع الإفطار،  
والعمال منتشرون جيئةً وذهاباً يعيدون للمكان رونقه.  
دلفت إلى البهو الخارجي حيث جلسات الطرب  
والموسيقى العربية حول المسبح الرحب الذي عكس  
مآؤه بهاء الوجوه وروعة المكان.

طلبت من قائد سيارتي الاقتراب لباب الفندق  
ليقلني إلى البيت. لمحت عن بعد صديقاً لم أراه  
منذ زمن بعيد فأليت أن أذهب إلى حيث يجلس  
لأسلم عليه دون أن أدرك أن هناك ثلاث درجات  
سلم تفصلني عنه. سقطت سقطة مروعة على  
ركبتي اليسرى. لم أتأوه عزة وكبرياء رغم الألم  
الرهيب، بل حاولت النهوض ولكن هيهات.

في المستشفى ، تحولت رائحة الطعام والشراب إلى رائحة العقاقير والبنج ، وحلت أصوات التأوهات محل الموسيقى والطرب. فحوص وتحاليل وأشعات ، عملية جراحية بالركبة لوصل الوتر المقطوع ، جبيرة قاسية بطول الساق اليسرى ، سجن على هذا الحال لسته أسابيع لم ينته الأول منها بعد. ليس أمامي سوى الرضوخ والتأقلم ولا مجال للأختيار أو الاعتراض.

لتكن القراءة إذن هي الرفيق الذي يصحبني في هذا الأسر ، قلبت بين الكتب. «فن كتابة القصة- فؤاد قنديل» كتاب ظفرت به منذ عدة شهور إبان معرض القاهرة الدولي للكتاب ، يتصدره إهداء رقيق من مبدعه القريب إلى قلبي. شرعت في القراءة ، لم أكن أتوقع أن مبدعه قد أعد للقارئ سيارة فارهة تسير على وسائل هوائية وتتمتع برؤية بانورامية لما يدور بخاطر المبدع فوجدتني أحتضن الكلمات احتضاناً وأتنقل دون أن أدري وأرتوي دون أن أشرب. توقفت

السيارة أمام قصة «أمنيات بهانة» فوجدتني أترجل  
لاهثا وراء ركب بهانة وأراها ورضيعها ومقطورتها  
وقفقتها وهي تهرول إلى رزقها، بل شعرت بجل  
أحاسيسها وتوجست خيفة ألا تلحق بمكانها في السوق.  
لم تغشني تلك الضحكة السمجة لأبي شرايط،  
فالغدر يطل من عينيه.

حنوت عليها حين جلست صاغرة على أطراف  
السوق وأيقظت حزم الخضار واحتضنت رضيعها  
وطفلتها واستبشرت خيرا.

تمنيت لو أنني كنت أحمل مدفعا رشاشا لأقضي  
على هذا الجاثم على صدور الضعفاء حين ركل  
بضاعته دون رحمة.

أخذت أساعدها في للمة بضاعته، حملتها  
وبضاعته ورضيعها ومقطورتها فوق رأسي واتجهت  
إلى حيث يخرج الناس من هذا السوق اللعين.

ربت على ظهري فتوقفت. المبدع فؤاد قنديل ودموع  
رقيقة تغلف عينيه وابتسامه حانية تضيء وجهه:

— كنت أعرف أنك ستحملها، فقد حملتها قبلك  
عشرات المرات، استخدم أدواتك وأنزل حملها على  
أوراقك سطوراً حتى يشاركنا الآخرون في حملها.

صاح أبو شرايط:

— وسع يافندي أنت وهو بلاش وقف حال.

★★★

هناك أفضل

obeikandi.com

لم يبق على جسده سوى سروالٍ يستر عورته ،  
ولولا بقايا عقله المتناثرة في جمجمته لأطاح به كما  
أطاح بكل شئ ، اختار رصيف الشارع بديلا عن  
الشقة التي دفع فيها وفي تجهيزها شقاء سنوات  
طوال من عمره ، لم تمنعه حرارة الأسفلت ولا  
لهيب الشمس من أن يسير حافي القدمين بطول  
الشارع ذهابا وعودة دون غاية يعرفها ، لعله كان  
يريد تأكيدا مستمرا لفوزه بالحرية ، وأنه قد فر من  
الضيقة إلى الرحابة ، لايتلفت يمينا ولا يسارا وهو  
يعبر بين ضفتي الشارع ، فلما يمتلكه الإعياء يرتمي  
بلا وعي على الرصيف وينتابه البكاء فيتجمع  
حوله المارة فلا يشعر بوجودهم ، فقد فر إلى عالمه  
الخاص وترك لهم عالمهم ، طفل صغير أفلت من  
يد أمه التي استوقفتها مهانة الرجل ، اقترب حتى  
استطاع أن يدرك ظهره بكفه الصغير ، ربت عليه :

— معلش ياجدو .. أنا هاخلي ماما تجيب لك شيكولاته .. متعيطش.

وكان الرجل لم يسمع من ضجيج الكون سوى كلمات هذا الصغير، فالتفت إليه ولمح في عينيه دموعا لم يذرفها من أضع عمره في إسعادهم، تمنى أن يضمه إلى صدره ولكنه أشفق عليه مما علق بجسده من غبار معجون بالعرق المتراكم منذ عدة أيام، تذكر أحفاده الخمسة وتعلقهم به وحبه المفرط لهم، رأى وجوههم تظهر على وجه الطفل فيراه حفيدا يبتسم له ثم لا يلبث أن يغيب ليحل محله حفيد آخر.

في الليل، تتجمع القطط الضالة لتنبش في كومة القمامة المجاورة لجلسته، فتأخذ كل اهتمامه، فقد أصبح يعرفها جميعا، بل قد رسخت في ذهنه صورة لطباع وشخصية كل منها، فوجد فيهم نماذج مشابهة لنماذج البشر: فهذا قط طيب لا يمد فمه إلى طعام فاز به غيره، بل يذهب في سلام ليبحث لنفسه عن طعام آخر، وهذا قط بلطجي شرس ينشب مخالبه

بلا رحمة في جسد قط حصل على طعام مميز ، فيطيح به ويلتهم طعامه بشراسة في لمح البصر ثم يستدير ليبحث عن غيره ، وهذا قط صغير ماتت أمه تحت عجالات السيارات المسرعة ، يئن جوعا ، وليس في القمامة ما يصلح لطعامه ، كان الرجل يعبث بالقمامة حتى يجد أكياسا أو علبا من تلك التي يباع فيها الحليب فيحمل الصغير ويقطر في فمه من بقاياها النادرة. ظل على حاله حتى تعلم من القطط أن يأكل من القمامة ، لم يعد يجد في ذلك غضاضة ولا قرفا.

خذلوه ، ضنوا عليه حتى بالكلمات ، صدَّقوا من تجلِّده وتجلَّدْهم فيما تدعي وهم يعلمون بكذبها ، جاملوها وشروا سكوتها ودفَعوا حياته ثمنا ، صدعوا على جسده المغمور في الهموم ليتنفسوا حتى غرق هما وغما ، أعطاهم كل شئ ولم يبق لنفسه شيئا ، اختلق لهم الأعذار بعد أن استكثر جحودهم ورفض أن يصدق الحقيقة حتى نمت مخالباها واستعرت نيرانها وفرضت نفسها على خياله الطيب فقتلت

الصبر ومثلت بجثته وعلقتة مشوها أمام عينيه ،  
فر من كل شئ حتى من ثيابه ، رافعه القلط  
والكلاب الضالة ، ووجد سعادته في قطة تتمسح  
بجسده العفن أو كلب يهز له ذيله حبا وامتنانا .

طال شعر لحيته حتى بلغ صدره ، وكسا  
شعر شاربه شفتيه وشعث شعر رأسه الأبيض  
المتناثر بلا انتظام في فروة رأسه الصلعاء ، واسود  
كل جلده وبرزت عروقه وجحظت عيناه واحمر  
بياضهما وانحنى ظهره وارتعشت أصابعه حتى  
صار كمن بعث من قبر بعد ألف سنة مكثها فيه .

لم يمت الكاتب ولا الأديب ولا الفنان بداخله ،  
مازلت آلة الإبداع تعمل بالفطرة كما كانت دائما ،  
فتولد الكلمات وتنمو وتتشابك في مقالات وقصص  
وأبيات تدور برأسه بحثا عن ثقب تنفذ منه إلى  
العالم الخارجي ، لاقلم ولاورقة ولامحربرة ، لم يحاول  
أن يمنع الكلمات عندما بدأت تنساب من بين  
شفتيه ، ولاحظه المارة بل واقترب منه بعضهم



الرجل ومنهمكين في كتابة وتسجيل ثمار فكره وقريحته، وطاقم من القناة الثقافية ينقل الجلسة على الهواء في حدث لم يشاهده العالم من قبل. لم يجروا أى من زبانية الحي من الاقتراب وفرض الموقف عليهم إجلالا ليس من طباعهم أن يعيشوه.

في المساء، أعادت القناة إذاعة الندوة وقد استضافت اثنين من كبار الأدباء وناقدا أدبيا واثنين من أصحاب دور النشر ومندوبا عن وزارة الثقافة ورئيس هيئة الكتاب، كان الكل منبها بأدب الرجل وفكره وأسلوبه في شتى الأجناس الأدبية التي قدمها، بل إنهم رأوا فيها أعمالا تضارع علامات مشهود لها في الأدب العربي، بل والعالمي أيضا، تحدث رئيس هيئة الكتاب:

— إنني أرى ثروة ثقافية يحتم على ضميري أن أحفظها وأن أصدرها كتبا يقرأها الجميع، ولكن الرجل يخفي اسمه ويرفض البوح بكنهه، وعمل كهذا يتطلب أن يوقع عقودا وحقوقا

مادية وأدبية، وأنا أطالب وأرجو ممن يعرف شيئاً عن الرجل أن يساعدنا فيما نصبو إليه.

كان الرجل حريصاً أن يكتم سره ولا يبوح باسمه ولا هويته، كان حريصاً ألا يرسل لهم برسالة خزي أو ما يقلل من قدرهم، مازال قلبه نقياً، كان مستغرقاً في النوم ملتصقاً بصندوق القمامة تدفئه أنفاس قطط تعرفه وتحبه، بينما جلس أبناؤه وأزواجهم وأبنائهم و الهانم يشاهدون الحلقة ويتبادلون الأكاذيب ويناقشون المخاوف ثم يرسون جميعاً على شاطئ الأطماع، فهذا الشبح الأشعث من الممكن أن يصبح ثرياً في غضون فترة وجيزة إذا نشرت أعماله واستضافته القنوات، وليس بعيداً أن يحصد جوائز تدر عليه آلاف الجنيهات، بل والدولارات أيضاً، قال ابنه الأكبر:

— سيبوا لي الموضوع ده .. أنا هاتصل بالقناه وأرتب حلقة مع نفس الضيوف واكشف فيها السر.

ردت أمه بنبرة صوتها الحادة الكريهة:

- يبقى نهارك أسود .. أنت اتجننت؟ الناس تقول  
علينا إيه؟ رميناه للكلاب ودلوقتي بنتمسح فيه؟  
— أنتي فاكراني عبيط يعني ومش فاهم؟ بكره  
تشوفيني هاعمل ده إزاي..

ردت ابنته التي كانت تتابع كل شئ في صمت:

- ظلمتوه .. ولسه عايزين تظلموه .. منكم لله.

لم يلتفت أحد إلى كلام المسكينة التي كانت أقربهم  
من قلب أبيها هي وأختها التي تصغرها بعامين،  
كانت تدرك كل الحقائق وتعلم تماما كم كانت أمها  
محركا لكل المآسي التي عاشوها وكيف كان أسلوبها  
القهري مع الجميع سببا في أن سجنتم نفسها في  
صدرها، ومر شريط الذكريات أمام عينيها فرات  
كيف كان أبوها رقيقا حتى مع قطتها، انكفأت  
تبكي في صمت وهي مكبلة بهذا القهر الأبدي.

عندما دارت الكاميرات في الاستوديو، بدا المذيع  
مستبشرا متهللا وهو يقدم الابن الأكبر الذي سيفجر

المفاجأة ويكشف سر رجل الرصيف الأديب ذائع الصيت وجالت الكاميرا بوجوه الضيوف فبدأ عليهم جميعا شدة الترقب والحماس حتى استقر المخرج على وجه الابن وقربه ليماً معظم الشاشة ويبدأ حديثه :

— لعلكم جميعا تنبهرون بما يقدم عليه الأمريكيون والأوروبيون من مغامرات بحثا عن الحقيقة معرضين حياتهم للعديد من الأخطار، ولكن شغفهم بالعلم والبحث عن الحقائق يكون دائما أقوى من الشعور بالخوف، وهذا الرجل الذي رأيتموه أشعث أغبر وأبهركم بثروته الأدبية الكامنة في صدره، لم يفعل إلا كهؤلاء العظماء، فقد كان كاتباً مغموراً شغلته الأحاسيس ومكنون الصدور فغاص في نفوس الناس ورسوم مايجول بخواطهم بدقة من يراها، فلما زاد شغفه قرر أن يتجرد من نفسه وأن يهيم بينهم وكأنه ليس منهم، ويرى ويرصد عالمهم من عالم خاص لا يرونه فيه بينما يراهم هو،

ولا يشغله عنهم ولد ولا بيت أو حتى طعام أو شراب، فكرة تبدو أقرب إلى الجنون، ولكنه فعلها، ولم يكن أمانا سوى متابعتها عن بعد وانتظار النتائج، وهاهي تظهر جلية أمامكم، أدب جديد في كل شئ، رؤية جديدة جعلتكم تشعرون بأنكم ترون الأشياء لأول مرة، يشرفني أن أعلن لكم وللجميع أن هذا الرجل الصلب صاحب الإرادة الحديدية هو ... أبي.

ما أن نطقها حتى اندفع إليه كل من بالاستوديو يقبلونه ويشدون على يده في حرارة، حتى العاملون خلف الكاميرا تركوا مواقعهم وظهروا على الشاشة وهم ينالون هذا الشرف.

كادت أمه أن تطير فرحا وهي تتابع ابنها واطمأنت أنه قد ورث عنها لؤمها وسوء طويتها، ولم يعد فيه عيب سوى أنه لا يحمل اسم عائلتها.

عندما اجتمع المثقفون على الرصيف واصطفوا جلوسا أمام الرجل في اليوم التالي، تعلقت عيني الرجل بالسماء وتحركت شفثاه وكأنه يخاطب عالما لا يرونه، ولكنه في هذه المرة بدا في سرد حكاية عن رجل من طراز مختلف لم يعهدوه، فلما تمادى في حكيه، شك كل الحضور في أنه يحكي حكايته لأول مرة، حتى إذا ماقترب من نسج النهاية تيقنوا تماما أنه هو من يحكي عنه، فلما ختم روايته، نظر إليهم فشعر كل واحد منهم أنه يكلمه هو فقط:

— أشهدكم أنني أهب كل أعمالى إلى جمعية القلب الطيب الخيرية لتقييم الندوات وتعطي الدروس وتعلم الناس الحب والوفاء والرحمة ما أمكنها ذلك، فكلها هبات من الله ورزق مكتوب، فليُنشر من ينشر ولكن بموافقة هذه الجمعية، فهي من الآن صاحبة كل الحقوق.

واستدار في جلسته ليواجههم بظهره، وكأنه وضع حملا ثقيلا عن كاهله، فتمدد بجوار صندوق القمامة وراح في نوم عميق.

جن جنون الولد وأمه عندما نشرت الجرائد خبر تنازل الرجل عن أعماله للجمعية الأهلية بشهادة كل الحضور، وشارت ثورة الهانم وتناثر السباب واللعنات في كل اتجاه، وانسلت الإبنة في صمت وقد قررت أن تذهب لأول مرة إلى حيث يربض أبوها وسط القمامة، فما أن اقتربت من المكان حتى شاهدت جمعا غفيرا من الناس اختفى وسطهم المشهد كله، أسرعت إلى حيث يلتف الناس، أصابت الكلمات والتعبيرات رأسها وقلبها وهم يعددون محاسن الرجل الذي وجدوه ميتا هذا الصباح، وأصوات من يقترحون إبلاغ الشرطة ومن يصر أن يدفن عنده، ومنهم من صاح بأن ابنه قد ظهر في التلفزيون وكشف شخصيته ولا بد أن أهله سيحضرون عندما يصلهم الخبر.

شقت الطرىق وسط زحامهم فى مشقة بالغة؁ لم يدرك أحد أنها ابنته حتى وجدوها ترتى علىه غير عابئة بحالته وهى تنتحب :

— ظلموك وظلمتك معاهم .. قتلوك ياأغلى أب.

وجلست إلى جواره؁ وهى لاتستطىع أن تنظر إلى وجهه خجلا من تقصيرها فى حقه؁ فلما حملوه فى رحلته الأخيرة؁ لم يستطع أحد أن يصرفها من المكان؁ ومازالت هناك؁ مكان أبيها؁ تستر نفسها بأغطية قديمة جاد عليها بها الجيران وقد تحجرت ابتسامة على وجهها وانقطعت كل صلاتها بالعالم؁ وهى تروى فى أسلوب شىق ولغة راقية قصة أبيها كما عاشتها هى؁ وقصص أخرى كان يحكيها لها ولم تكن تدرك معنى الكثير منها وقتها؁ أما الآن فقد أدركت كل المعانى وصار الندم ينهش قلبها؁ ومازالت ندوات الرصىف عامرة.

★★★

obeikandi.com

لك الله

obeikandi.com

تعودت أن أراه مارا كل يوم في نفس الدقيقة ،  
السابعة صباحا وأنا في طريقي إلى العمل ، خطاه  
تنم عن جدية وقوة وإصرار وكأنه قائد عسكري  
يستعرض جنوده قبل معركة فاصلة ، كنت أنا دائما  
الجندي الوحيد الذي يقف له احتراما وإجلالا .

ألمح شعره المشمشي اللون الذي لايمك حتى رفاهية  
البقع البيضاء ، أدرك خشونة شعره رغم أنني لم ألمسه  
قط ، لأدري كيف يحافظ عليه هكذا نظيفا بل وممشطا .

يلتفت إلى في كبرياء وشمم بنظرة تملؤها جدية  
وصرامة حتى أنني كنت أشعر أنه ينظر إلى من علي .

خطواته ثابتة رغم هذه الساق المكسورة التي  
يدليها مرتفعة قليلا عن الأرض ، لعلها إصابة عمل  
قديمة ، لأدري .

لم أراه كأقرانه ملتصقا بأي من صناديق القمامة ،  
لم أراه يتمسح بأحد أو متمسكا بمدخل البيوت ، رسخ  
داخلي إحساس أكيد أنه يعلم وجهته جيدا ، جهة

رزقه التي يقصدها كل صباح.

تحجرت في مكاني عندما فوجئت به ممددا  
بجوار الرصيف وقد فارق الحياة .. يرقد في سلام  
واستسلام .. كانت تلك هي المرة الأولى التي أراه فيها  
مستسلما .. عرفته دائما مكافحا عزيز النفس قوى  
الإرادة، يأبى أن يكسب قوت يومه الا بعرقه وكده  
ومجهوده .. لم تمنعه ساقه المكسورة من أن يسعى  
طوال اليوم ومعظم الليل باحثا في كل الدروب عما  
يسد به رمقه... نظراته فيها جدية غريبة.. وكأنه يقول  
: تلك هي الحياة.. كفاح ومشقة.. لم يمت جوعا، بل  
مات غدرا وقسوة، لم يتطوع أحد ليرفعه من حيث  
رقد رقدته الأخيرة. سألت دموعي وأنا أستعيد صورته  
في خيالي، وهو يصعد السلالم أو وهو يعبر الطريق  
وسط زحام السيارات.. راض وقانع بما قسمه الله له.

مات القط الطيب ذو الساق المكسورة .. استكمالا  
للغدر والقسوة .. قتلته سيارة وهو ملتصق بالرصيف  
.. كتلك التي كسرت ساقه لأدري متى .. لك الله  
أيها القط الطيب.

إنسانیة

obeikandi.com

لم يكن الأستاذ خيرى متحمسا للانصراف من مكتبه عندما أشارت الساعة المعلقة على الجدار المواجه لمقعده إلى الرابعة عصرا، فقد شعر بأنه في حاجة إلى بعض الاسترخاء والهدوء بعد يوم حفل بالمناقشات التي تحفها الخلافات والجدل والتي تمثل شيئا طبيعيا في مهمته ومهمة من يعملون معه في تلك الإدارة المسئولة عن تقدير وصرف تعويضات متضرري الكوارث الطبيعية والحوادث الجسيمة.

تعلم من وظيفته الكثير، فلا فرق بين متعلم وأمي، ولاغني ولافقير عندما يتعلق الأمر بالنقود، غالبيتهم يتفنن في تعظيم مطالبه والمبالغة في وصف الأضرار، وفي سبيل ذلك فإن الكثير منهم لايمانع في تقديم البيانات والمستندات التي تعزز ادعائه والتي يعرفون كيف يحصلون عليها من الجهات المختلفة مقابل جنيهات قليلة لاتقارن بما يتوقعون الحصول عليه بموجبها من مبالغ كبيرة، فيشترتون من أجلها الذمم .

تعلم أيضا أن الكثيرين ليس لديهم مانع من القسم بأغلظ الأيمان، وأحيانا بالطلاق ليؤكد صحة ما يدعيه.

كان الأستاذ خيرى يعيش هذا الجدل معظم ساعات النهار، ولكنه لم يكن ليأبه به، فخبرته تساعده على تمييز الطيب من الخبيث، فيقابل الانفعالات المصطنعة بهدوء حقيقي، ويظل صابرا حتى يرسخ الحق ويثبته. كانت العبارة الشهيرة المكررة التي يسمعها من العاملين معه في نهاية كل يوم:

— كان يوما شاقا، توترت فيه الأعصاب، وهاجمنا الصداع.

ولم تعد مثل هذه الأمور غريبة عليهم، فقد ألفوها وتعودوا عليها وأجادوا الصمود أمامها، وكانوا ينظرون إلى اللافتة المعلقة في مكان واضح وتقول: المواطن دائما على حق.

أسند ظهره وتمدد في مقعده وأغمض عينيه وغفا قليلا قبل أن يشرع في للممة حاجاته ويتخذ طريقه مغادرا مكتبه. لم يخطر بباله أن يستخدم المعد ليهبط به الأدوار التي تفصله عن باب العمارة، فقد مل الجلوس إلى مكتبه معظم اليوم وهاهي الفرصة لتحريك مفاصله، فأخذ طريقه إلى الدرج هابطا حتى لمح موظف الأمن فوقف يداعبه بكلمات خفيفة كعادته كل يوم قبل أن يودعه متجها إلى حيث تقف سيارته في روتين يومي اعتاده دون ملل. كانت الساعة تقترب من الخامسة، والطريق يشهد كثافة وعشوائية ولاأثر لأي سلطة متواجدة للسيطرة على حركة السيارات وتنظيمها، وأصبح كل قائد سيارة كقائد في حرب متعددة الأطراف، أو كلاعب في لعبة إلكترونية عليه أن يصل بسيارته إلى الهدف المحدد لها.

لم يكن المشهد غريبا على خيرى، فقد اعتاده في معظم الأيام، إلا أنه في هذا اليوم بالذات شعر بأنه

ليس لديه المزيد من التحمل ليكمل اللعبة السخيفة التي كثيرا مايضطر إليها حتى يبلغ بيته.

خطر له أن يسلك طريقا آخر، يتجه إلى المتجر الكبير القريب من مقر عمله، لعل الحال قد تهدأ بعد حين وتسهل الحركة، وأيضا ليستمتع بهوايته في التسوق.

ما إن اتخذ طريق المتجر حتى شعر بالفارق الكبير، فالطريق سهل ميسر حتى إذا بلغ المتجر اكتمل ارتياحه عندما وجد مكانا في الجهة المقابلة ليترك فيها سيارته في أمان.

خطا خطوات قليلة متجها إلى باب المتجر، استوقفه ما زحم عينيه وشتت أفكاره: رجلان يجذبان شابا بينهما من ذراعيه حتى كادا ينزعانهما من كتفيه بقسوة واضحة، وجمع من الناس ينهالون عليه ركلا ولكما وسبا، والمسكين كمن سقط في بئر قد نضب ماؤه فتلقفته الحجارة بلا رحمة.

ترامى إلى مسامعه أنهم قد أمسكوا به وهو يحاول أن يفتح سيارة أحدهم. وكأنه لم يسمع ولم ير. فوسط كل هذا الضجيج تصيدت عينا الشاب عيني خيري، فلم يعد يرى إلا وجه هذا الشاب المسكين، وكأن الشاب أيضا لم يكن يرى إلا وجه خيري.

صاح الشاب فيه راجيا، بل متوسلا :

— الحقنى يابيه .. هايموتوني.

سأل خيري نفسه في حيرة: لماذا أنا بالذات؟ ولم يفكر في الإجابة، فقد غلبته دموعه ووجد نفسه مندفعا في اتجاه الشاب المسكين، وحتى يصل إلى حيث كان، فقد نال نصيبه: بعضا من الركلات واللكمات، والتي كان يشيخ بوجهه يمينا ويسارا محاولا تفاديها، ويحرك ذراعيه في عشوائية كمن سقط في البحر وهو لا يعرف السباحة، حتى وصل إلى الشاب، فارتدى عليه واحتضنه وأخذ يلهث بعدما توقف الآخرون عن الضرب، فلما استجمع بعضا من قواه صاح فيهم:

— حرام عليكم .. مية بيضربوا واحد؟! ما فيش  
رحمة؟! يعني هو كان سرق؟!!

همهم الجمع وتصايحوا واختلطت أصواتهم وهم  
يتفرقون مبتعدين عن المكان، وخيرى مازال محتضنا  
الشاب وهو يربت على ظهره مطمئنا إياه، حتى  
هدأ روعه فانحنى الشاب محاولا تقبيل يد خيرى  
الذي سارع بسحب يده قائلا:

— استغفر الله العظيم.

عدل من ملابسه التي نالها الكثير، واتخذ  
طريقه إلى باب المتجر وقد أفرغ الكثير من شحنات  
كانت كامنة في صدره، وانتابه ارتياح غامر بعد هذه  
الواقعة الغريبة والتي لم تكن لتخطر له على بال،  
وشعر أنه كان إنسانا كما يحب دائما أن يكون.

امتلات عربة التسوق التي كان يدفعها أمامه  
في طرقات المتجر بما لذ وطاب وبأشياء لم يكن  
في حسابانه أن يشتريها، ولكنه كان سعيدا منتشيا

حتى تقدم للمحاسبة ، وأخذ موظف الخزينة يحصي مشترياته بآلته الحاسبة ، بينما يقوم زميل له بتعبئة تلك المشتريات في عبوات مختلفة حسب نوعياتها ، ودون أن يلتفت إليه أو يرفع عينيه عن شاشة آله ، قال المحاسب :

— ستمية اتنين وتمانين يابيه .

لم يفاجأ خيري ولم يبد اهتماما ، مد يده في جيب سترته الداخلي الأيمن ، فالأيسر ، ثم الجيوب الخارجية ، فجيوب البنطال ، كلها خالية تماما ، لقد سرقوه ، بل جردوه ، ترى من هم؟

إنه هو ، ذلك الشاب المسكين الذي سلبه كل شئ دون أن يشعر ودون أن يأخذ له رأيا ، ومضى بريئا سعيدا ، وتركه حزينا مسكينا .

كان كل مايشغله أن يراه من كانوا متجمعين حول الشاب يضربونه حتى خلصه من أيديهم ، أطل برأسه خارج باب المتجر ، لم ير منهم أحدا ، هرول إلى حيث

ترك سيارته في الجهة المقابلة، لم يجدها، تحسس جيوبه مرة أخرى، أين مفتاح السيارة؟ لقد فهم الآن.

جرى كالمجنون في اتجاه لايدري مؤداه، كل من رآه وعرف حكايته تعجب واندعش، وجرى وراءه.

\*\*\*

# مجرمة

obeikandi.com

كان اليوم هو الخميس ، موعد المؤتمر الذي دعي لحضوره بالأسكندرية ، ورغم قيمة هذه الدعوة وأهمية حضوره لهذا المؤتمر ، لم يكن يشعر في داخله بالحماس لحضوره ، ولكنه لايملك حرية الاعتذار ، كان يحلم أن تصحبه لتؤنس طريقه وتطيب إقامته وليظفرا بيومين على شواطئ الأسكندرية بعيدا عن طاحونة العمل التي ألقته بالقاهرة وقذفت بها إلى أسوان .

هي : امرأة خلقت له ، تداخلت دروب حياتها وتقاطعت حتى أصبحت لغزا محيرا لم يحل حتى التقيا ، امرأة على فطرتها ، لاتجيد المكر ولا الكذب ، بل لاتعرفهما مطلقا ، تعشقه وتهفو إليه ، تفتخر بكل شئ فيه ، تفهمه وتحسه تماما كما يعرف نفسه ويحسها .

هو : كآتٍ من صحراء قاحلة قاسية ، يعرف قيمة الحياة ولايملكها ، وجد عندها كل ماكان على وشك اليأس من الحصول عليه ، سكن عالمها وتشبث

بأرضها، دعاها للزواج فلم تناقشه، في الموعد تلاقيا  
وعقدا القران، زهل المأذون بشخصيتها وتعجب من  
حبها لهذا الرجل، لاشروط ولاجزاء ولا احتياطات،  
خرجت تحمله فوق رأسها، ومازال قابعا هناك.  
شهور ثلاث قد مضت دون أن يجمعهما لقاء،  
الأمم لا ينقطع أبدا، فهما على يقين أنهما إلى لقاء،  
فروحه لا تغادرها وروحها لا تغادره.

كانت الساعة تقترب من الساعة والرابع صباحا  
عندما تقدم نحو شبك التذاكر بمحطة القطارات:

— تذكرتين درجة أولى من فضلك.

— الأسكندرية؟

— أبوه .. ميعاد الساعة ثمانية.

نظر إليها في حنان ... احتضنته بعينيها ...  
ربتت على قلبه بابتسامتها، في الكافتيريا اشترى  
لها الشيكولاتة التي تحبها، وضعتها أمامها،

أحست أنه عطشان، مدت يدها بكوب الماء إلى فيه، ارتوى، قبل اليد التي روته، احتضنت يده بكلتا يديها، انحنى وقبلتها.

لم يعد يرى هؤلاء الذين ملأوا المكان حوله في انتظار القطار، اقترب أحدهم يستأذنه أن يأخذ المقعد الذي يراه أمامه خاليا، رفع رأسه ونظر إليه باستغراب:

— حضرتك مش شايف المدام؟

— عفوا .. أنا آسف .. ماشفتهاش.

عاد بنظره وقلبه إليها:

— ناس مايعرفوش الذوق.

أعلنت الشاشة المعلقة أمامه وكذلك إذاعة المحطة عن رحلة قطار الثامنة المتجهة إلى الأسكندرية، فتحت أبواب القطار ودعى المسافرون للركوب، قدمها ومشى خلفها تسبقها ذراعيه بعد أن علق حقيبته على كتفه حتى إذا أدرك الباب زاحمه شاب

من الركاب ، دفعه برفق :

— يا أخي انتظر لما المدام تركب براحتها.

برقت عينا الرجل ولم يفهم شيئا ، ولكنه تراجع قليلا وانتظره حتى ركب وصعد خلفه.

المقعدين ١٥ و ١٦ ، هاهما ، أجلسها إلى جوار النافذة حتى تشاهد الطريق ، انتظر حتى استقرت في مقعدها ، لم تغادر عيناها النظر إلى وجهه ، مدت يدها وبرفق أجلسته في مقعده إلى جوارها ، أخذت في تعديل هندامه ، أعادت تلك الشعيرات التي تبعثرت على جبينه إلى مكانها على رأسه ، خلعت نظارته ومسحت زجاجتيها برفق ثم برفق أكثر أعادتها إلى عينيه ، هو مستسلم كالطفل بين يدي أمه ، مستمتع كأهل الجنة.

مر أكثر من ساعتين حتى بلغ القطار محطة سيدي جابر ، لم يشعر ببعده المسافة ولا طول الوقت ، إنه الحب كما أراد الله أن يكون بين البشر سببا لكل شئ جميل على الأرض.

— تاكسي .. فندق الرمال الذهبية من فضلك.

فتح لها الباب الخلفي وحملها بعينيه، أجلسها ودس نفسه ملتصقا بها، السائق وضع شريطا ورفع صوت الكاسيت، صدحت الألحان والكلمات، صوت أم كلثوم غلالة غلفت العاشقين، الحب كله حبيته فيك .. الحب كله، السائق انتشى وأصابته عدوى السعادة.

في بهو الفندق الذي يتردد عليه دائما، خطا نحو موظف الاستقبال، لم ينتظره الموظف حين رآه، بل هرع إليه فالتقاه في منتصف المسافة، رحب به، حمل عنه حقيبته وتقدمه إلى غرفته التي حجزها منذ يومين، نفس الغرفة التي يقيمان فيها كلما كانا في الأسكندرية، كل العاملين بالفندق يعرفونه جيدا، يعرفون زوجته التي يقول لهم عنها دائما إنها سر حياته.

انصرف موظف الفندق، حملها لتدخل أمامه، برقة بالغة أجلسها على مقعد وثير، رآها في المرأة

الكبيرة التي تكاد تبلغ السقف ارتفاعاً، تنو إليه وترقبه بحنان أم فرحة بطفلها وقد بدأ يخطو في أنحاء الغرفة، لم ير لنفسه صورة في المرآة، جلس إلى جوارها، احتضنها فذابت في صدره، اقتربت شفاتها من أذنه، همست:

— ياروحي.

أضيئت أنوار الدنيا، طغى جمالها، غردت كل الطيور، حتى البوم والغربان، لهث لسانه شكراً لله، دق هاتفه، تناوله، كشف غطاءه، صورتها تملأ الشاشة، سمعها تهمس في حنان:

— باموت فيك ... ياروحي .. كان نفسي أكون معاك.

لثم صورتها على الشاشة، ابتسم وهو يتمتم:

— مجرمة.

## الفهرس

- أصحاب التل ..... ٣
- الإكلمة ..... ١٩
- لكن ذك غدا ..... ٢٥
- كوم الحذاء ..... ٣٣
- حنان ..... ٤٧
- ككك ..... ٥٣
- عسلكة ..... ٥٩
- الفستان الأسود ..... ٦٧
- ككك ..... ٧٥
- أنا وبهانة ..... ٨١
- هناك أفضل ..... ٨٧
- لك الله ..... ١٠٣
- إنسانكة ..... ١٠٧
- مكركة ..... ١١٧